

مجلة علمية ثقافية ، جامعة ، فصلية

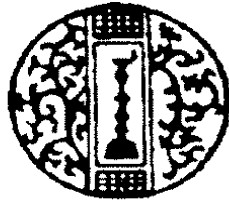
ثقافة الهند

المجلد ٥٣ العدد ١

٢٠٠٢م

رئيس التحرير

س ضياء الحسن الندوي



المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

ازاد بهاون، نيو دلهي

الهند

محتويات العدد

(٦) مولانا عبد الحي : شخصيته الفذة و مآثره الجليلة ٦٥-٥٦

السيد محمد عارف حسين

مولانا عبد الحي : شخصيته الفذة و مآثره الجليلة

بقلم: السيد محمد عارف حسين

يسعدني أن أكتب كلمات عن مولانا عبد الحي الفرنجي محلي حينما سنع لي وقت و عن شخصيته الفذة، و عن سيرته النبيلة، و عن أسرته الكريمة، و القي ضوءا على سلسلة نسبه و على خدماته العلمية و الدينية والأدبية، و على أسلوبه الجيد السهل، و ألقى الضوء على خدمات تلامذته البارزين، و على مصنفاته المشهورة في الصرف و النحو و المناظرة و المنطق، و في الحكمة و الكلام و في الطب، و في التراجم و التاريخ و الفقه و أصول الفقه، و في فن الحديث و المتفرقات و أتحدث عن المراجع الكثيرة.

فالآن حان الوقت أن أتحدث عن هذا الشيخ الجليل الذي يعطو بيانه وينطلق لسانه و يتبحر علمه و يتوسع فيضانه حتى جعل الناس يتهافتون إليه من كل جانب، من بلاد بعيدة و قريبة، و من مدينة متجاورة جاء المواطنون إليه يستقبلونه و يرحبون به، و جعل الطلاب يتلمسون من نواحيه العلمية

مولانا عبد الحي : شخصيته الفذة و مآثره الجليلة

والدينية و الأدبية، و استطاعوا الوصول إلى شيء من المعرفة، حتى صار الشيخ للناس في علمه و معرفته، وفي أسرار الدين و الرسالة السماوية وفي أسرار كتاب الله و سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فيضا من يم هادر وغيضا من فيض ثائر.

وبهذه المناسبة السارة كنا نقف الآن حيارى أمام الشيخ الجليل الفاضل في زمن تزامم الأحداث و تقلب الأفكار الذي شهد عصرنا، من حيث لا يتسع وقتنا لاستعراض ما كتبه الشيخ. لكن حسن لدينا أن نقوم بمحاولة متواضعة في حقوله العلمية و الدينية و الأدبية التي يوفي الشيخ بعض حقاها.

ولم يكن سرد هذا التعبير مستغربا فيه، و قد تتجلى في نفسه قابليته و ذكاؤه المفرط ، و حسن الانسجام و فرط الحياء، و رجاحة العقل، و أصالة الرأي.

ولم يكن من مستغرب في أن تفجرت عبقرية هذا الشيخ ابن الدماء العريقة الهندية في الهند و باكستان و بانجلاديش و في بلاد العرب جميعا، التي عرفت إبداعه الفني، و فكره الديني، العلمي و الأدبي السامي.

و إن الشيخ - رحمه الله - قد ملأ سمع الشرق و الغرب، و ملأ سمع الزمان و المكان، و إن الأمة الإسلامية في الهند، لم تتجب مثله، في تاريخها المتداول المتطاوول في شبه القارة الهندية و لكن قد جاء الشيخ على فترة من الزمن انقطع فيها الأمل و الرجاء.

قد ولد في الهند، كانت بعيدة عن المعاهد العلمية الدينية، و لا هي تعرف مدارس و لا جامعات جيدة و لا مؤسسات علمية حديثة و لا شيء

ثقافة الهند

سوى المدارس الدينية الصغيرة التي تعني عناية واسعة بالدراسة التي بالدراسة التي تتصل بجوهر الدين بالفقه و التفسير و الحديث و علم البيان.

وهذه المدارس و الكتاتيب و المعاهد الدينية اشتملت على ثلاثة مراحل في ذلك العصر. هي التعليم الابتدائي، و التعليم الثانوي و التعليم العالي، في بعض مراكز التعليم و في بعض المدارس البسيطة التابعة لبعض المساجد الرسمية المنحصرة على نظام الإقطاعيات فلم يتجاوز التعليم فيها القراءة و حفظ القران و الكتابة و أوليات الحساب في الحلقات المسجدية في الهند.

و حينما نقرأ أدب هذا العصر المنصرم نحس ألوانا من أدب و ثقافة علمية ضعيفة و هي تختلط بالأوهام و بالمحاكات و التقليد اللازم فلا يجد في العلم و الدين و الأدب و الفن غير هذه الألوان الكريهة تقوم عبارته على الزخارف اللفظية و القوافي و السجع، و على الجناس و البديع، و التعثر و التكلف، و كان طريق التدريس و التعليم في هذه المدارس و المعاهد العلمية باللغة الفارسية، و كان أكثر الأساتذة ليس لديهم سليقة عربية جيدة أو عربية خالصة أصيلة. فاضطر أبناء هذه البلاد أن ينشئوا على هذا الطراز القديم و يمهروا في الفارسية و يقرضوا الشعر الفارسي بدون معرفة لغة القران و السنة، فادى ذلك إلى سقم اللغة العربية في البلاد. و بدأ الضعف فيها و هي آلت إلى الانحطاط و الركاقة و الضيق، و سوء التنازل و التخازل، فكان الشيخ من الرعيل الأول من بعث في هذا الجسد و نفخ فيه روحا جديدا، و ألبسها ثياب العز و الفخر و أعطاه نور القمر، بدائع الأوصاف و روائع الحكمة و صقل جوانب روحها حتى بلغت إلى الأدب

مولانا عبد الحي : شخصيته الفذة و مآثره الجليلة

الرائع، و الشعر الجيد و انتهت إلى الذوق الرقيق و الفهم الدقيق والخوض إلى جوهر المعاني و البيان و البلاغة.

وكان الشيخ نورا ساطعا و مشعلا مباركا كشف ظلام الجهل والأوهام و الخرافات و أنار الطريق إلى الكتاب و السنة لآلاف النفوس و القلوب.

وقد أوتي قلبا زكيا، و عقلا صافيا، و نشاطا موفورا، و بصيرة نفاذة، و عزيمة، و اغتم هذه الفرصة و بذل ما لديه من الإمكانيات لبذل الوسع، و غاية الجهد لنيل أكبر وطر لطاعة الله و رضوانه و الخضوع لحكمه و الاستسلام لأوامره، فما أضع ساعة منذ صباه فجعل يتشرف به الناس من كل جانب في الدنيا و الآخرة حتى صاروا تراب عتبه.

وكان الشيخ قد أوتي من حساسية و رقة شعور، و تواضع و تزهد في الدنيا، و خلق عظيم، فكان يعتبر كنانة الإسلام في منبر الإلهام و مقام الرسالة السماوية، و كان يتكلم كلاما متزنا و موزونا، و لم يكن معجبا بزينة الدنيا، قد أثار الله في قلبه شرارة الإيمان و الحنان، و شرارة الحمية، و الشجاعة و الغيرة و العواطف للإسلام.

وكان مثابة للعلم و الأدب و معقلا للدين الحنيف، قد عرف لغيرته حماسته للإسلام، و بحبه العميق للدين فجعلت ترق إليه النفوس و تفيض العيون، و ينكشف السحاب المادي أمام الناس إلى عالم روحاني، و نفحات قدسية و عواطف إيمانية، و ربانية، بخفة الروح، و سرور القلب و صفاء النفس. و أسباب الإعجاب منه هو التعبير عن النفس الراغبة إلى الإسلام،

ثقافة الهند

وأعظم الإعجاب بشخصية هو الطموح، و الحب للإيمان و الدين قد تتجلى هذه الأوصاف في تصنيفاته.

وليس إيمان الشيخ بكتاب الله و رسوله إيمانا جافا بل كان حبيبا له، و يملك عليه مشاعره و قلبه و عقله و تفكيره و بل كان شديد الإيمان بالإسلام، و شديد الإخلاص للدين، و الإجلال لرسول الله صلى الله عليه وسلم، و يعتقد في أن هذه الأوصاف قوته و ثروته، و إخلاصه للدين الحنيف هو مصدر شعوره الرقيق و علمه العميق، و حكمته الفائقة، فجعل الناس ينزعون منه حب الرسول و الإخلاص و الوفاء للدين وكان هو من تلك الأعمدة التي قام عليها صرح العلوم الإسلامية ونزعات الصوفية التي أرسى قواعدها. محب الرسول و الشيخ معين الدين جشتي ومجدد الألف الثاني و شاه قطب و غيره .

وكان جاهدا و عالما كبيرا، قد عده الناس من طليعة العلماء البارزين في هذا العصر، و كان كاتباً إسلامياً عظيماً لا أعرف في ذلك العصر أحفظ منه لروائع الأدب و اللغة العربية و التراث الإسلامي و الدين، و لا أقدر منه على التميز بين أقدار الكلام و الرواة للحديث.

قد شاء القدر المحتوم أن يولد هذا الطفل مولداً دنياً، و شعوراً بالإسلام ينفرد عادته من أمثاله من الأطفال، فقد حملته أمه هذا المنهل العلمي الخالد، و جعلت تستمع إلى خرير أمواجه في البطن حتى ولد الطفل في شعبان ١٢٦٤هـ في بانه. فاختار أبوه و أمه الحنون اسمه عبد الحي الذي سيخلد في صفحات التاريخ و في السن الرابع بدأ حفظ القرآن واستوعب ما قرأه، فلم يهرب من المدرسة و رافق والده الماجد في زيارة الحرمين الشريفين، و استمر في التعليم و اشتغل بالعلوم، حتى برع في

مولانا عبد الحي : شخصيته الفذة و مآثره الجليلة

النحو و الصرف و علم الكلام و التفسير و أقبل على الحديث و الفقه إقبالا
كلياً، حتى حاز السبق على المعاصرين في سنة العشرين.

وكان الشيخ متورعاً زاهداً قائماً في الليل و صائماً في النهار
وذاكراً كثيراً و راجعاً إلى حكم الله في سائر الأحوال و القضايا أمراً
بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا تشبع نفسه من تحصيل العلوم و الفنون
والمصادر الحيوية و لا تروي من المطالعة و لا تمل من الاشتغال بالكتب
الكثيرة و لا تكل من البحث.

و أفى هذا الشاب المترعرع الذي كان في سبع عشرة سنة من
عمره، و شرع في الجمع من ذلك الوقت، حتى انتهت إليه الإمارة من العلم
و العمل.

وكان الشيخ آية من آيات الله في فن التفسير و الفقه و في أصول
الديانة، و كان محافظاً على أركان الإسلام و معظماً الشرائع السماوية
ظاهراً و باطناً، و غاية في التقوى و الورع و التسامح .

وكان جيد القريحة و حسن المعاشرة، شارك في أكثر العلوم
و الفنون و خطاطاً جيد الخط. يكتب النسخ و الثلث و الرقعة بكمال النظافة
و الجودة و الملائمة و الانسجام، يقتفي آثار السنة في القول و العمل.

وكان خطيباً بارعاً حلو الإشارة، يعرف مواقع الكلام، و إثارة
الهدف في النفوس و كان أول أستاذه أبوه و هو ابن وحيد لأبيه، لذلك كان
يرافقه في الأسفار و يصاحبه في الإقامة، فبعد وفاة أبيه لزم بالأستاذ نعمة
الله بن الشيخ نور الدين و حصل منه علم الهيئة.

ثقافة الهند

ارتحل إلى الحجاز و استفاد من علماء الحرمين من الشيخ أحمد زميني دجلان مدرس مدرسة بيت الحرم، و من الشيخ محمد بن عرب الشافعي المدرس مدرسة المسجد النبوي، و مولانا عبد الغني و غيره من علماء الهند.

و كان أسلوبه سهلا ممتعا لا يحتاج إلى التفكير، و تصنيفاته الجيدة تعرض الأخلاق الكريمة و تصور الحياة الإسلامية الذكية الطاهرة ومظاهرها.

وكان أسلوبه متينا يتناول الوزن و الجمل و العبارات الرائقة، و المسجع و المقفى، و هو يتمثل في الإيجاز و الإطناب و في حسن التقسيم و الاختيار و السهولة و الجزالة اللفظية و الاستيحاء و لا يحلق في سماء الخيال.

وكان يحترز من المناظرة، لكنه يساهم في مناظرة العلماء البارزين، و في المجلس العلمي و الديني و الأدبي.

قد قضى كل حياته في خدمة الدين و في الدرس و التدريس و في مطالعة الكتب. فذلك أثر في صحته أثرا سيئا، و هكذا كان يزداد هذا المرض يوما فيوما، حتى مات يوم الإثنين، ٣٠ ربيع الأول عام ١٣٠٤هـ. و عندما نشر الخبر بموته في المدينة قد ساد الحزن و الألم و الأسى و صلى عليه الناس في ثلاثة أماكن.

والآن هنا نرى تلميذه عبد الرشيد يعبر عن حزنه الشديد بموته في هذه القصيدة:

مات عبد الحي لكن لم يمت فيضانه

مولانا عبد الحي : شخصيته الفذة و مآثره الجليلة

إنما مات المسمى و اسمه لا يموت

وكان للشيخ عدة أولاده، و بنت واحدة زوجها عام ١٨٨٨م بابن
الشيخ المفتى محمد يوسف. و عاش الشيخ و قضى حياته في حب النبي وفي
حب ديار النبي، و كلما ذكرت عنده المدينة فاضت عينه.

مصنفاته المشهورة:

١- الفوائد المكية في تراجم البخاري

في الصرف:

٢- تبيان : شرح ميزان الصرف،

في النحو:

٣- خير الكلام

في المناظرة:

٤- الهدية المختارة الندية : شرح الرسالة العضدية

في المنطق:

٥- هداية الورى إلى لواء الهدى: شرح مصباح الدجى في نور

الدجى.

٦- نور الهدى لحملة لواء الهدى

٧- التعليق العجيب

٨- حل المغلق في تحقيق المجهول المطلق

في الحكمة:

٩- الكلام المتين في تحرير البراهين

١٠- ميسر العسير

١١- الإفادة الخطيرة

في الكلام:

١٢- المعارف : حاشية شرح المواقف

في الطب:

١٣- الشرح الموجز

في التراجم و التاريخ:

١٤- طرب الأماثل

١٥- النصيب الأوفر

في القصة:

١٦- القول المنثور

١٧- الفلك الدوار

١٨- الأجوبة الفاصلة

مولانا عبد الحي : شخصيته الفذة و مآثره الجليلة

١٩- الأسئلة العشرة الكاملة

٢٠- الكلام الجلي

٢١- تحفة النبلاء في جماعة النساء

في أصول الفقه:

٢٢- توضيح

٢٣- تلويح

في علم الحديث:

٢٤- التعليق المنجد

٢٥- الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعية

في أصول الحديث:

٢٦- ظفر الأمانى

المتفرقات:

٢٧- اللطائف المستحسنة و غيرها.